يهتم الفن الروائي بتصوير حوادث الحياة، فيبرز الصور الخبيئة فيها، مما يساعد على تصور وتفهم حقيقتها في ظل الوعي الإنساني ووفق منطق المجتمع والفضاء المكاني. والسرد ظاهرة لغوية تهدف لمحاكاة العالم باللغة، واللغة تدل من غير أن تقلد، والتصوير لا يقف عند المظهر الخارجي للمدرَك، بل إنه تشكيل لبنية وعي المدرِك في كلمات.

والصورة في لسان العرب هي كل "خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها(...) والجمع صُور وصِور وصوْر.والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة (...) وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي .وترد الصورة في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته ، يقال : صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته." [1].

وترتبط الصورة بالخيال الذي ينشئها ، فهو سمة أساسية للسمو على الواقع؛ لأنه لا يستنسخه بل ينتخب جزئيات منه ، فيكون صورة لا نظير لها في الواقع .

وتعد اللغة حاملا لهذه المدلولات، ولقد ذكر الجاحظ الصورة في مجال الأدب وتحديدا في الشعر فرآه بأنه" ضرب من النسج وجنس من التصوير "[2] ،وقد وضح عبد القاهر الجرجاني هذا بقوله :" إن اللغة تجري مجرى العلامات والسمات ، ولا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه ." [3]

---

[1]. ابن منظور: لسان العرب،" فصل الصاد المهملة ، مادة صورة" حققه وعلق عليه عامر أحمد حيدر راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1، 1424هـ –2003 م المجلد الرابع347 545،546 .

[2]. الجاحظ: الحيوان ، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون القاهرة ، 1356،1366هـ .1938،1947م ،ج2 ،ص 132.

[3] – عبد القاهر الجرجاني :أسرار البلاغة ، طبعة رشيد رضا ، القاهرة ، 1358 هـ . 1939م،ص 347 .

إن قيام الصورة على التخييل وعنصر الإيهام لا ينقص من قيمتها،وإنما يميزها عن الرصد الآلي للواقع ، فالتخييل في السرد له قيمته وهو يستند على المحاكاة باللغة والتأليف الجزئي للعناصر لتكون محاكية لموضوع القول كأن يكون فعلا أو قولا أو منظرا ، ولهذا فإن غاية الصورة هي تمثيل "المحكيات في أوهام الناس وحواسهم "[1].

وإذا كان السرد يعتمد على المحاكاة كما ذكرت، فإن الصورة تعتبر في تقديري من أهم أهدافه.

والتخيل عند الغربيين هو عملية توليد للصورة قصد تصوير الحقائق المادية والنفسية بما يفسر مظاهر الوجود وحقائق الكون.والصورة بهذا المفهوم تعتبر استحضارا و تمثيلا وإظهارا بإعادة إنتاج المادي المعطى بأسلوب بصري، إنها تمثيل لشيء أو شخص وفق الكيفية التي نراه عليها فنقدمه بها للآخرين في مكتوب، ويعتمد على الوصف كتمثيل ذهني مكرس انطلاقا من فتحة داخلية مستحضرة بكلمة بصوت بشيء بشخص نراه، وتكون بصرية أو سمعية أو صورة شفهية ، خاصة تلك التي تستدعى بكلمة وفق رؤية داخلية مرتبطة بالذاكرة والروح ،وهي تمثل تعبيرا يستدعي الحقيقة بكيفية مطابقة أو مشابهة أو استعارية لموضوع أو شيء على علاقة بآخر ، والصورة عند "ديكارت" "Descartes" تمثيل الفكر (الذهن) للمدركات وهي على الإجمال، صورة ذهنية مكونة من مواصفات متنفذة ملتقطة عبر الحواس لعدة أشياء لها نفس النوعية ،وباختصار فهي تمثيل واستحضار المدلول في غياب الدال [2].

ومن الضروري ربط الصورة بمكوناتها، وأعني بذلك الدال وهو في اللغة اللفظ، والمدلول وهو ما توحي به تلك الصورة من معنى يستحضره المرسل إليه بناء على إشارات المرسل.

---

[1] . الشيخ الرئيس (أبو علي بن سينا) :فن الشعر ، من كتاب الشفاء ، تحقيق الدكتور عبد الرحمان بدوي القاهرة، 1966، ص158

[2]- ينظر: Grand dictionnaire encyclopedique , larousse,lbrairie larousse , mars ;1983, v10 .,p547

والسؤال هل صياغة الصورة شيء وما توحي به شيء آخر؟ .

الظاهر أن قيمة الشكل الجمالية تتأسس على ملاحظة فنية البنية اللغوية المستعملة في النص، والحركة البانية المتحكمة فيه،"فتماسك الشكل يقوم على اللغة الفنية المستخدمة في النص والحركة التي تتحكم في هذه اللغة فتفضي بها إلى نحو غايتها، ثم على نظام العلاقة الحميمة التي تربط هذه الشبكة من المظاهر الخارجية والداخلية معا للنص،ثم على الرؤية الفنية التي يطرحها هذا النص." [1]

إن الكلمات الموجودة على الصفحات لا تشكل صورة أو صورا ، فالقارئ هو الذي يفكك علامات الكلمات ويعطيها معنى ودلالة، وفق مهاراته المكتسبة في التعامل مع النص، فالمعاني المتصورة في الأذهان خفية مستورة عن المرسل إليه يحييها المرسل بذكرها له وإخباره عنها فيصير خفيها ظاهرا "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى "[2]. فالتصوير الأدبي وليد نضج التجربة الإنسانية في مشاعر الأديب ومتى تم ذلك تشكلت الصورة وخرجت في شكل لفظ."وهكذا يكون المعنى هو المدار، واللفظ صورة يخرج به المعنى إلى وجود الفعل بعد وجود القوة"[3]

ويهدف هذا البحث إلى تحري التحليل المؤسس على النظر للعلامات الصادرة عن التجربة الإنسانية كمادة للتعبير الدلالي في سيرورته، وضمن دلالته في إطار المجتمع الثقافي المنتمي إليه وليس جمعا لمختلف لا تآلف بينه.

---

[1] . عبد المالك مرتاض : بنية الخطاب الشعري ، دار الحداثة ، لبنان ،1986،ص7.

[2] –. الجاحظ : البيان والتبيين تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون القاهرة ،الناشر مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ط7 ، 1418 هـ، 1998 م ،ص75.

[3] . علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثامن الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ،1401هـ ،1981 م،ص16.

والبحث " السيميائي " يحد من حرية الكاتب والقارئ (كمرسل ومرسل إليه) في اصطناع المعنى ؛ لأنه لايوجد في الواقع إلا من خلال المرجع، ذلك أنه شرط في التجربة التواصلية، وقد يظهر النص الروائي بأنه لا يخاطب أحدا ، وخاصة في الرواية المعاصرة وهذا لا يغير شيئا. فالرواية في الواقع خطاب موجه لمتلق ، ولا يمكن أن يقوم إلا على هذا ، فلا يعقل أن يكون سرد من غير مسرود له ، وخطاب من غير مخاطب، والعمل الروائي كعمل أدبي "ليس مجرد مجموعة من الألفاظ ، وإنما شبكة من الشيفرات التي تجعل العلامات الموجودة على الصفحة تقرأ كنص خاص"[1] .

إن الصورة تقدم لنا من منظور معين، يتحكم في الرؤية وفي حكاية ما يريد الإخبار عنه وفق آليات محددة لإنتاج الدلالة أو تلقيها، والواقع أن البحث السيميائي ينصب أساسا على المعنى المشكل في صورة باستحضار المدلول في غياب الدال، وتوجه السيميائيات نحو الخطاب السردي يعود لتنوعه وخصبه التعبيري والتصويري فـ"الحكاية حاضرة في الأسطورة والخرافة وفي حكاية الحيوان والحكاية الشعبية والقصة الصغيرة والملحمة (...)كما لو أن كل مادة صالحة لأن يودعها الإنسان حكايته "[2] .

ولا يجب التمييز بين المادة والشكل ،فالمعنى شكل وما ندركه من مادة الصورة هو شكلها، والشكل هو تجسيد ما لعدة أوضاع ممكنة لتلك المادة، ولهذا يجب النظر للشكل والمادة كأنهما من طبيعة واحدة، مادامت المادة تستمد قوة وجودها من واقع بنيتها، وما لم يتم ذلك فإن العمل يبقى مجردا لا يعني شيئا؛ لأنه لا يملك قيمة دلالية .

---

(1) . إبراهيم السيد : نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الادبي في معالجة فن القصة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1998، ص 97.

(2) R.Barthes : introduction à lanalyse structurale de recit, ed seuil,1977,p7.

والتحليل "السيميائي" هو لعبة تفكيك البنية وتركيبها ،وتحديد البنيات العميقة المتجلية وراء البنيات السطحية، إنه دراسة تتخذ من شكل البنية ممرا لمساءلة الدوال، بهدف الوصول للمعرفة الدقيقة للمدلولات (المعاني) مهما تنوعت في قلب الحياة الاجتماعية، فالنشاط الإنساني نشاط سيميائي في مختلف تجلياته .والفن الروائي رؤية إنسانية تنسج فيها مختلف العلاقات فتجسد المعنى في بعده الفضائي (المكان والزمان)، ليظهر في ما يؤثث عالمها وما يزرع من علامات معمارية فيها. وإذا كانت اللسانيات تقف عند حدود الجملة ، فإن الخطاب ليس في واقع الأمر إلا جمل متعاقبة لها، فالمحكي جملة كبيرة وكل جملة تامة تمثل بداية حكاية قصيرة، فـ"كل وحدة تنتمي إلى مستوى معين لا تمتلك معنى إلا إذا استطاعت الاندماج بمستوى أعلى"[1] .

إن الهدف من دراسة "الفضاء والشخصية" هو النظر في النص الروائي، ومساءلته بعزل عناصره لنتبين بنياتها والكشف عن خصائصها البانية ،وتصنيفها على أساس تمييزي . خاصة وأن التواصل الإنساني يحتاج لكل العلامات اللغوية والغير لغوية للتعبير والفهم بالاعتماد على القراءة واستنباط المعاني من النص، في السابق منه واللاحق، وفي المتشاكل منه والمتباين [2] .

والصورة الروائية كتمثل تتكون عناصرها وتتآلف من العواطف والأفكار الموجودة مسبقا، وفق ثقافة مصدرها، أي المنتج للصورة وصاحب الرؤية، وما يراه عن الذات والأخر، وعن الفضاء فهي "إذن تمثيل يعتمد على معلومات شبه ثابتة ذات طابع عام ومعقول ،ولها شيء من الواقع الملموس" [3].

---

[1]. رولان بارت : مدخل إلى التحليل البنيوي للمحكيات ، ترجمة عثماني السيد ، الموقف الأدبي ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،العدد 362، ص75.

[2]. ينظر أحلام الجيلالي : المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص ،الموقف الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 365، ص 35.

[3] – عبد المجيد حنون :صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1986 ،ص82.

وعلى هذا فالصورة الروائية كما سبق تمثل "نقلا فنيا ومحاولة لتجسيم معطيات الواقع الخارجي بواسطة اللغة "[1].

ولا تتحقق الصورة في الرواية إلا بجميع مكوناتها، وخاصة حينما تتحرك شخصية في الفضاء في فعلها وتفاعلها، حينها تتكون الصور الجزئية ،وتتآزر تباعا في حركة متنامية لتكون الصورة الكلية التي لا يكون وجودها مشروعا ومكتملا إلا بعد اكتمال النص، أي بعد إحيائه بالقراءة، وهذا يدفعنا للقول بأن الصورة الروائية لا تبقى بطبيعتها التشبيهية،وإنما تأخذ طبيعة أخرى مجازية بما تحمله من دلالات رمزية مؤطرة، فالصورة إذن تركيب ينطلق من العلامات النصية المتناثرة التي يجدها القارئ فيجمعها في شبكة نظامية وفق العلاقات بين مجموع العناصر، ويجسدها ذهن المتلقي وفق ما هو مخزون في ذاكرته، فالنص الروائي كخطاب هو مجال بناء الصورة وتكوين الدلالة بالدرجة الأولى.

ولهذا فالصورة الأدبية كما عرفها "باجو""PAGEUX" تعني " كل صورة تنبثق عن وعي مهما كان ضئيلا لأنا في علاقتها بالأخر ،ولهنا في علاقتها بمكان آخر فهي إذن تعبير أدبي أو غير أدبي، عن انزياح دلالي ما بين مستويين للواقع الثقافي." [2] .

والفن الروائي فن أدبي شديد الارتباط بالواقع ،وهو أيضا نظام سيميائي في شكله ومضمونه يحاول دوما إخفاء أسراره، ولا يبوح بها إلا لمن يستنطقها بالدرس وفي إطار الثقافة التي ارتبط بها، ليعبر عن حقائق موجودة في المجتمع وخاضعة لحركته المتطورة، فكل علامة توظف اللغة لتبلغ

---

[1] – انقار محمد :بناء الصورة في الرواية الاستعمارية "صورة العرب في الرواية الإسبانية" ، مكتبة الإدريسي ط1،1994،ص.13

[2] Pageux(daniel henri « de l'imagerie culturelle à l'imaginaire » un précis de littérature comparer 1 éd puf ;1989,p 135.

مضمون رسالتها، فتنتشر العلامات على امتداد الرواية، فالدلالة السميائية تنشأ في اللغة وتعبر بها وليس خارج إطارها .

*****